‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)
https://easpublisher.com/journal/yandoto/home

عناصر الرثاء في قصيدة "شهيد الوباء" للشاعر الدكتور مَسَامَا: دراسة أدبية تحليلية
Elements of Elegy in Dr. Masama's Poem "Pandemic Martyr": A Literary analytical study

by

Nura Yahaya Kaura

Preamble:

The dirge has occupied a higher position in the poets, and it is among the sincere and bountiful arts of poetry, which uncovers his pneumatic feeling. That is because the moment of the one living the world must be trustful and his kind together with his loved one have any business that time except poring tears and living in a lasting pain. So, no scholar or monarch will die unless the poets prepared some poems eulogizing those who have died from their male and female.

There are three (3) components of Elegy, on which the Arabic poem is built. There are: "mourn", expression, and condolence. And often a component overpowers another or one inters another, and this happens because of the flame of sorrow and grief in the heart of the poet. And it is worthy to think that mourning is a commonest thing in the Elegy of Jahiliyya period. It is may be the wars frequently occurs which lead to killing of heroes is among the factors that leads them to shaving their heads, slapping their cheeks hands and slippers showing grief. As it is natural that woeful things always crack the hearts and also make the eyes to burst in tears, so as how poets in era of Islamic literature care for mourn for the Elegized. They mentioned his good deeds, and cite his good manners and this may be of what Shari'ah confirms of prohibiting yelling and slapping cheeks and so on among the bad habit at the death.

the article will focus on reading components of Elegy in the poem of pandemic martyr by Dr. A. A. masama, and this will be done to bring out the artistic strength and displaying these components of Elegy to declare that has the poet used these components rightly as how the literary critics confirmed or not; and this will be through:

- Introduction
- Biography of the poet
- Analytical display of the poem
- Components of Elegy in the poem
- Literal criticism of the poem
- Conclusion
- References

تمهيد:

يحتل الرثاء مكانة رفيعة عند الشعراء، وهو من أوفر الفنون الشعرية حظا من الصدق الفني الذي يكشف ما بداخل الإنسان من خلجات روحه وشعوره، وذلك لأن لحظة الرحيل عن الدنيا لا يملك أحد سوى أن يكون صادقا أروع الصدق، ولا حيلة للأهل والأحباب سوى الدموع ومزيد من الأسى الدامي، إذ لا يموت عالم أو سلطان مشهور إلا أطلق الشعراء ألسنتهم ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها الأموات من رجالهم ونسائهم.

للرثاء ثلاثة عناصر تنبني عليها القصيدة العربية؛ هي الندب والتأبين والتعزية، وقد يتغلب عنصر على عنصر أو يتداخل واحد على آخر وذلك حسب تأجج نيران الحزن والأسى في قلب الشاعر. ومن الجدير بالذكر أن الندب أكثر شيوعا في مراثي العصر الجاهلي، ولعل كثرة المعارك التي ينجم منها قتل الأبطال مما يؤدي بهم إلى حلق الرؤوس ولطم الخدود بالأيادي والنعال تحسرا؛ فطبيعي أن تصدر من هؤلاء ألفاظا مشجية وعبارات محزنة تصدع منها القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة، كما يهتم الشعراء في العصور الأدبية الإسلامية بعنصر التأبين فيخلعون أنبل الصفات على المرثى الراحل، ينوّهون بمحاسنه ويذكون خصاله الحسنة ويعددونها، ولعل ذلك لما هو مقرر في الشرع من تحريم الصراخة والنياحة ولطم الخدود وغير ذلك من العادات السيئة عند فاجعة الموت.

هذا، ويهدف هذا المقال إلى دراسة عناصر الرثاء في قصيدة شهيد الوباء للدكتور أبي بكر آدم مَسَامَا – رئيس قسم اللغة العربية جامعة غسو الفيدرالية– بغية اكتشاف قيمة القصيدة الفنية وإبراز عناصرها الرثائية والوقوف على مدى توفيق الشاعر في توظيفها في أجزاء القصيدة أو عكس ذلك حسبما قرره النقاد. وسينحصر المقال على النقاط التالية:

- التمهيد
- نبذة يسيرة عن الشاعر
- عرض القصيدة
- بناء القصيدة
- أهم الأفكار الواردة في القصيدة
- عناصر الرثاء في القصيدة
- الصور الفنية في القصيدة
- التقويم الفني للقصيدة
- الخاتمة
- ثبت الهوامش والمراجع.

نبذة يسيرة عن الشاعر:

هو السيد الإمام وخطيب جامع الجامعة الفيدرالية بغُسَوْ، الشاعر الحاذق الدكتور أبوبكر آدم مَسَامَا، ولد في بلدة مَسَامَرْ مُودِي في حكومة بُكْيُمْ المحلية ولاية زمفرا نيجيريا، وكانت ولادته في يوم الأربعاء 3/ من شهر نوفمبر/ عام 1976م[1]

تعلم الشاعر في المدارس القرآنية والكتاتيب ثم واصل تعليمه في المدارس النظامية وحصل على الشهادات التالية:

- الشهادة الابتدائية – من المدرسة الابتدائية النموذجية في بلده "مَسَامَرْ مُودِي" عام 1987م
- الشهادة الثانوية؛ في اللغة العربية والدراسات الإسلامية – من كلية الشيخ أبي بكر جومي التذكارية صكتو، وتخرج فيها بدرجة ممتازة، عام 1994م

- شهادة البلوم في اللغة العربية لغير الناطقين بها –من معهد الشيخ إبراهيم طيب مركز صكتو، وتخرج فيها بدرجة ممتازة، عام 1997م
- شهادة التربية الوطنية(N.C.E ARABIC) – من كلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو، وحصل على درجة جيد جدا، عام 1997م
- شهادة الليسانس في اللغة العربية – من جامعة عثمان بن فودي صكتو، تخرج فيها بدرجة جيد جدا، عام 2002م
- شهادة الماجستير في اللغة العربية – من جامعة عثمان بن فودي صكتو، تخرج فيها عام 2009م
- شهادة الدكتوراه في اللغة العربية (الأدب والنقد) – من جامعة بخت الرضا – الدويم، جمهورية السودان، عام 2015م

أما من حيث التأليف والنشر فقد ألف الدكتور الكتب والمقالات العديدة ومنها كتبه التالية:

- الدكتور إبراهيم جالو وديوانه: لسان الشعب، وقد تم نشر الكتاب سنة 2015م
- اتجاهات فن الرثاء في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، أعيد نشر الكتاب سنة 2018م
- تطور الشعر العربي النيجيري مع الحياة (تحت الطبع والنشر)، كل ذلك إضافة إلى ما ابتكره فكر الشاعر من مقالات علمية عديدة منشورة وغير منشورة.

وبما أن الشاعر رجل يهتم بشؤون مجتمعه شرّف بعضويات في منظمات علمية إنسانية منها ما يلي:

- ✓ عضو لجنة الدعوة الإسلامية لولاية زمفرا نيجيريامنذ عام سنة 2005م
- ✓ رئيس منظمة الآباء والمدرسين لكلية مَسَامَرْ مُودِي الثانوية الحكومية منذ سنة 2006م
- ✓ عضو الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن) منذ سنة 2015م
- ✓ رئيس تحرير مجلة (يَنْدُوتُو) العلمية للغة العربية والدراسات الإسلامية، تصدر من قسم اللغة العربية والدرسات الإسلامية – الجامعة الفيدرالية؛ غسو، منذ سنة 2017م– 2020م
- ✓ عضو الاتحاد الدولي للغة العربية، دُبَيْ – الإمارات، منذ سنة 2017م.
- ✓ رئيس الجمعية الأكاديمية للغة العربية وآدابها في نيجيريا (أسلن) فرع ولاية زمفرا، منذ 2018م
- ✓ الإمام وخطيب مسجد الجامعة الفيدرالية غسو، ولاية زمفرا، منذ 2019م
- ✓ رئيس تحرير مجلة (يَنْدُوتُو) الأكاديمية للغة العربية وآدابها، تصدر من قسم اللغة العربية الجامعة الفيدرالية غسو 2020م.

ومن حيث الجوائز فإن الشاعر حصل على جائزة قسم اللغة العربية كلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو – للطالب المتفوق في الدراسات العربية سنة 1994م، كما كوفئ بجائزة قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو،للطالب المتفوق في الدراسات العربية سنة 2002م.

وفي الأعمال والوظائف الحكومية تقلّد الشاعر وظائف مرموقة؛ منها ما يلي:

- ❖ مدرس اللغة العربية بالمدرسة الابتدائية تحت حكومة بُكُيُمْ المحلية، ولاية زمفرا عام 1992- 1997م.
- ❖ منسق الدراسات العربية للمدارس الابتدائة حكومة بُكُيُمْ المحلية، ولاية زمفرا عام 1997 – 2010م
- ❖ محاضر بقسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا عام 2010م –2016م
- ❖ وحاليا هو محاضر بقسم اللغة العربية الجامعة الفيدرالية– غسو.
- ❖ رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية الجامعة الفيدرالية غُسَوْ ولاية زمفرا، 2017-2020م

- ❖ رئيس قسم اللغة العربية جامعة النهضة العالمية مركز غُسَوْ الدراسي، منذ 2019م.
- ❖ رئيس قسم اللغة العربية الجامعة الفيدرالية غسو، 2020م.
- ❖ نائب العميد، كلية العلوم الإنسانية الجامعة الفيدرالية غسو ولاية زمفرا، 2020م.

أطال الله حياته في خدمة الإسلام ولغته، إنه ولي ذلك ومولاه.

عرض القصيدة:

قرض الشاعر قصيدة شهيد الوباء إثر نعي رئيس موظفي المكتب الرئاسي لدولة نيجيريا أَبَّهْ كَارِي تحسرا على فقده؛ ومساهمة في تطوير الأدب العربي النيجيري، والقصيدة من البحر الوافر عدد أبياتها ثمانية عشر (18) بيتا، ونصها في التالي:

1- فيا طول البكاء على وقـــــــــور ** وما زلنا نـــفكر فيك (كَـــــارِي)[2]
2- فقدنا صالـــــــــحا رجـــــــــلا أمينا ** فكـــــــــل الناس في أســـــــف ونار
3- رئيسا حازمـــــــــا فطنا كريـــــــــما ** كفـــــــــاه ثناء جـــــــالسنا وجاري
4- توفـــــــــي بيننا رجـــــــــل فصيح ** معيـــــــــنا قد نـــــراه لك البخاري
5- فيا (جَنَرَالْ)[3] عليك الصبُر طوعا ** علـــــى هذي الـمصيبة في الديار
6- نعزيـــــك البُخَارِ على فـــــــــقيـــد ** تـــــحيّر من مصيبته (مَـــــسَارِي)[4]
7- كفيـــــــــلٌ لليتامى دون مـــــــــنٍّ ** لـــــــــه الفتيات فـــي دار الـــــقرار
8- تـــــمام الـــــــمرء عقـــــلا أن نـــراه ** كثير الصمت من أجـــــل الوقار
9- وباء (كُـــــــرُونَ[5]) لا يأتـــــي بشر ** على رجـل سليم القلـــب قاري
10- وفاتك في الـــــــوباء مـــن الـــدليل ** على حسن الـــختام لـــكل بار
11- روى هذا الـــــحديث أبوهـريـــرة ** بـــــه نحتج في طـــــــــــرد الشرار
12- توفـــي من (كُرُونَ) أخ كـــريـــم ** قرين حبيـــبنا (جَنَرَالْ) بُـــــــخَارِ
13- مصيبة (كَارِي) عمّت كـــــل بيت ** فنـــــرجوا أن تكون مـــــن الـــخيار
14- نعزي شعبـــــــنا فيك النجـــــيبِ ** بكيـــــــنا كلنا لـــــــــوفاة (كَارِي)
15- فنسأل ربـــنا يـــــجزيك خيـــــــرا ** يـــمتعك التصـــرف بالـــجواري[6]
16- فـــــيا الله إرفع عـــــــــن بـــــلادي ** وباء (الكُوْبِ[7]) مـــن أجل الذرار[8]
17- فخلصنا من (الْفَيْـــرُوسْ[9]) جميعا ** كـما خلصت مـــوسى من دمار
18- إذا مات القرين من (الْكُـــــــــرُونَا) ** فنـــــــــرجوا أن يفوز بـــــخير دار

بناء القصيدة:

بما أن النفوس تتفائل بنيل الخير كلما شمّت بوادره، وتتشاءم كلما دقّت أجراس ملامحه،استطاع الشاعر في بناء القصيدة أن يصوغ مطلع قصيدته صياغة جيدة حيث لخص الأفكار الرئيسة للقصيدة، على حساب ما يحسنه النقاد[10] فصور حالته القلقة المؤسفة، وأنهفي البكاء الدائم نتيجة وفاة شخصية كبيرة ذات صفات نبيلة في الدولة. ثم إن الشاعر صور هذه المعاني بأسلوب واضح سهل سليم التراكيب كما يدل المطلع على أن غرض القصيدة الرثاء، استمع إليه وهو يقول:

فيا طول البكاء على وقـــــــــور ** وما زلنا نـــفكر فيك (كاري)

ويلاحظ حسن التخلص للقصيدة في لطف ورعاية الملاءمة؛ بحيث استهل قصيدته بإظهار بكائه الدائم وحزنه العميق في مطلع القصيدة وتخلص منه إلى الحديث عما للمرثى له من الصلاحة والأمانة وما يتصف به من المحاسن ومواساة الفقراء بقوله:

فقدنا صالـــــــــــحا رجـــــــــــلا أمينا ** فكـــــــــــل الناس في أسف ونار

وفي المقطع، حاول الشاعر أن يختم قصيدته بما لا يُنتظر له بقية لمعرفته بحساسية الخاتمة وأهميتها في العمل الأدبي، فختتمها بالتضرع والدعاء لله جل وعلا أن يرفع عنا البلية والوباء، وأن يُجيز شهادة كل من هلك في وباء الفَيرُوس كُرُونا،فقال:

إذا مات القرين من (الكـــــرونا) ** فنـــــــــــــــــرجوا أن يفوز بـــــــــخير دار

هذا، وعاطفة الشاعر نبيلة منطبعة بطابع إسلامي يستسلم إلى فعل القدر رغم إحساسه بالفجيعة، استمع إليه وهو يقول:

وفاتك في الـــــــــــوباء مـــــن الدليل ** على حسن الـــــختام لكل بار

روى هذا الـــــــــحديث أبو هـــريرة ** بـــــــــــه نحتج في طـــــــــرد الشرار

أهم الأفكار الواردة في القصيدة:

تتمثل أهم الأفكار الواردة في القصيدة في:

- التحسر والبكاء على الفقيد
- التصريح بالفجيعة وتعزية رئيس الدولة
- مدح الفقيد
- الاعتزاز بشهادة الفقيد تحت وباء الكرونا
- الدعاء للراحل والتخلص من الوباء.

يسود النص جوٌّ من الإجلال وإبراز محاسن المتوفى الراحل فوصفه الشاعر بصفات نبيلة يلخصها الباحث حسب أفكار القصيدة الرئيسة في التالي:

1- التحسر والبكاء على الفقيد: (البيت الأول من القصيدة)

استهل الشاعر قصيدته بذكر حالته المؤسفة يبرز لوعته وبكائه الدائم على فقيده المشهود له بالوقار فاعتقد أنه لا ينساه لما يكمن في قلبه من حبه وإجلاله.

2- التصريح بالفجيعة وتعزية رئيس الدولة: (البيت 2 – 6)

أراد الشاعر الاندفاع إلى إظهار مصيبته التي أبكته بكاء دائما والتي يفزع منها حتى لا يستغرب السامع منه، لقد فقدت دولته أحد صلحائها وأمنائها من أهل الحل والعقد فيها، فأصبح في تأجج نيران الحزن والأسى هو وجميع المواطنين لما حلّ بهم من فقد رئيس موظفي المكتب الرئاسي لدولة نيجيريا، الحازم الضابط لأمره، الفطن الذكي لفهم الأمور، الكريم الجواد لضعفاء مجتمعه، الفصيح المميز لجيد الكلام من رديئه، المعين والمساعد لرئيس الدولة (محمد بخاري)، يثني عليه جميع أفراد الدولة وما يجاورها لما امتاز به من هذه الصفات النبيلة وغيرها. ثم أبدى الشاعر حسن التعزي لرئيس الدولة (جنرال محمد البخار) على فاجعة رئيس العمال الرئاسية الذي ارتبك وتحيّر من أجلها حاكم ولاية (كَتْشِنَا) الحاج أمين بَلُّو مَسَارِي.

3- مدح الفقيد(البيت 7 – 8):

لم تزل محاسن الفقيد ورجاحة عقله تراودان الشاعر فعاد يعدّد مئاثره ويخلع أنبل الصفات عليه؛ فهو منفق على الضعفاء المحرومين من أبناء مجتمعه إنفاقا بلا منّ مواساة لهم منه، وأنه في القمة العليا - كالجبال – في رجاحة العقل والرزانة، فالله يسكنه جنات عدنه مع ما احتوت عليه من الحور وغيرهن من النعم.

4- **الاعتزاز بشهادة الفقيد تحت وباء الكرونا (البيت 9 – 14):**

يقرر الشاعر أن وفاة الرجل الصالح تحت وباء يوحي بحسن الخاتمة له، ويبرهن به على سعادته بالشهادة على حساب ما أخرجه الإمام البخاري[11] والإمام مسلم[12]في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول اللهﷺ حكم بالشهادة على خمسةٍ: من بينهم من مات في الطاعون!

بعد أن أثبت الشاعر أن من مات في الطاعون فهو شهيد – كما سلف القول – عاد ليقدم تعزيته من جديد إلى شعبه النيجيري لوفاة ذلك الرجل الكريم الحسيب الفاضل الذي أدمعت وفاته كل المواطنين.

5- **الدعاء للراحل والتخلص من الوباء (البيت 15 – 17)**

تضرع الشاعر على الله جلّ وعلا سائلا أن يُجزل للفقيد الراحل الخير والثواب لما قدّم لدولته من خير، وأن يسكنه جنات نعيمه ليتبوأ منها حيث يشاء، وأن يرفع ويدفع عن بلادنا هذا الوباء المفتك بالناس؛ كما دفع عن نبي الله موسى عليه السلام الهلاك من عدوه فرعون وسوء عمله، إنه ولي ذلك ومولاه. واختتمالقصيدة بالتمني والترجي من المولى الكريم أن يتقبل شهادة كل مسلم هلك في هذا الوباء ويدخلهم الجنة عرفها لهم.

عناصر الرثاء في القصيدة:

حصر النقاد العناصر الأساسية التي تبنى عليها القصائد الرثائية في ثلاثةٍ؛ هي الندب والتأبين والعزاء، وقد يتغلب عنصر على الآخر فيها حسب تأجج نيران الحزن في عاطفة الشاعر. ويريد الباحث اكتشافها من القصيدة المدروسة والنظر إلى مدى توفيق الشاعر في توظيفها في أجزاء القصيدة كالتالي:

الندب:

وبما أن الندب عبارة عن النوح بالعبارات المشجية، والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة[13]، فإنه يُلمح هذا المعنى عبر البيت الأول، وقطعا من غيره من أبيات القصيدة كالتالي:

فيا طول البكاء على وقـــــــــــور ** وما زلنا نـــفكر فيك (كاري)

وقوله:

مصيبة (كاري) عمّت كل بيت ** ----------

---------- ** بكيـــــــــنا كلنا لـــــــوفاة (كاري)

يبدو أنه لم يأت هذا العنصر في القصيدة إلا في صورة خاطفة، ولعل السرّ في ذلك هو اشتهار الفقيد بالصفات الحميدة فأحب الشاعر أن يُشيد بها دون إظهار التحسر والبكاء عليه، وعاطفة الشاعر فيه عاطفة إيمانية إسلامية بحتة، منعته من الإكثار بالبكاء وضرب الخدود وشق الجيوب، بل منعته حتى من وصف الوضع وصفا دقيقا يبرز فيه نوعية ذهوله ونحافته، أو سقمه وعدم حسو رقاده إلى غير ذلك من أمارات اللهف إثر الفجيعةكشأن شعراء الإسلام قبله.

الـتأبين:

والتأبين عند النقاد هو تذكير الفاجعة والتنويه بمحاسن الميت، وذكر خصاله الحسنة وتعدادها، وتختلف هذه الخصال باختلاف عُمْرِ الميت، فإذا كان شابا يذكر الشاعر خصالامعينة له مثل الكرم والشجاعة والعدل وحسن الأخلاق، أما إذا كان طفلا أو صبيا فيذكر خصال البراعة والطهارة له، وإن كان شيخا كبيرا طاعنا في السنّ فيذكر معاني الوقاروالتديّن والورع والحكمة[14]، وقد يوجد التداخل في ذكر تلك الخصال مثل أن يوصف الشاب بالتدين أو الشيخ بالكرم وهكذا، إذ المهم في التأبين وصف الفقيد بالفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك[15].

فبما أن المرثى من كبار الدولة وصلحائها، ظل يعدّد الشاعر محاسن المتوفى في أكثر أبياته، وأنه في القمة العليا من الوقار والكرم والأمانة والفطانة، اقرأ طرفامنها في التالي:

فقدنا صالـــــــــحا رجـــــــــــلا أمينا ** فكـــــــــــل الناس في أسف ونار

رئيسا حازمـــــــــــا فطنا كريـــــــــــما ** كفـــــــــــاه ثناء جالسنا وجاري

وقوله:

كفيـــــــــــــلٌ لليتامى دون مـــــــــــنٍّ ** لـــــــــــه الفتيات فـــــي دار القرار

تـــــــمام الـــــــــمرء عقـــــــلا أن نراه ** كثير الصمت من أجل الوقار

أشاد الشاعر بمحاسن الفقيد وبفضائله النفسية اشتياقا منه على إظهارها وإثباتها، إيمانا منه أن ثناء الناس للميت من أهم ما ينتفع به بعد الموت، وعلى هذا الأساسلم تسامح هذه العاطفة الإيمانية للشاعر أن يغلوَ في البكاء والتحسر أو التغلغل في الصراخ والنياح أو شقّ الجلود وخدشها على ما هو معلوم عند شعراء الندبة كالخنساء.

العزاء:

ويعني هذا العنصر بتقديم المواساة للنفس، ولأهل الميت وتعزيتهم والدعوة لهم بالصبر على فراق المرثى، ويتطلب هذا العنصر حضور العقل وتوافر عـــــــــناصرالفنّ، لحمل المتلقّي على التسلّي والتصبر لما يؤول إليه مصير الإنسان، إذ إن الموت لا ينجو منه أحد[16].ومن الأبيات التي تحمل هذا المعنىما يلي:

نعزيـــــــك البخارِ على فـــــــــــــقيد ** تـــــحيّر من مصيبته (مَسَارِي)

وقوله:

نعزي شعبـــــــــــــنا فيك النجـــــيبِ ** بكيـــــــــــنا كلنا لـــــــــوفاة (كاري)

فنسأل ربـــــنا يـــــــــجزيك خيـــــــــرا ** يـــــــمتعك التصرف بالـــــــــجواري

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر استطاع أن يستوفي جميع العناصر الرثائية في القصيدة؛ إلا أن عنصر التأبين أكثر ظهورا يليه عنصر التعزية وأنه لم يهمل عنصر الندبة كل الإهمال. ولعل عدم ترتيب العناصر ترتيبا تسلسليا ناشئ عن شرود ذهن الشاعر لما داهمه من سبق القدر لوفاة هذا الرئيس الوقور.

الصور الفنية في القصيدة، منها ما يلي:

- صور حسن اختيار الألفاظ في القصيدة:

ومما يؤكد براعة الشاعر ويبرهن به على ملكته الذوقية استعمالُه أدق المفرادات عند التعبير لعلمه بالفروق الدقيقة بين الكلمات في أداء المعنى المراد. والذي اطلع على هذه المرثية يجد فيها ألفاظا دقيقة في مكانها، وأن اختياره للمفرادات مرتبط بالمعنى المعبر عنه وتدل عليه مباشرة لانسجام بعضها البعضوهي تعبر عن فلسفته الشعرية. ومن الكلمات التي وقعت موقعا حسنا في القصيدة كلمة "أسف" فهي من مادة أ س ف، ويشير بها إلى ما وقع عليه من فوت وهلاك شخصية رفيعة في دولته فأثر الوضع تأثيرا سلبيا عليهويحزن حزنا شديدا، وهذا ما تدل عليه الكلمة[17] بخلاف حزن وألم وندمفهي كلمات قريبة الدلالة للكلمة إلا أنها لا تتضمن تلك المعنى. ثم انظر كيف أتى بما يجانس معنى الكلمة في السياق مثل"نار" دلالة على ما يقاسيه من تأجج نيران الحزن والأسى.

ومن دقة اختيار الشاعر للألفاظ قوله: "كفيل" من مادة كفَل، ويشير بها إلى ما للفقيد الراحل من الإنفاق والرعاية والتربية والإقامة بشؤون الغير، فاهتدى الشاعر إلى الكلمة ليوحي بها إلى تلك المعاني التي تدل عليه،[18] بخلاف ساعد وساند وأنفق لأنها لا تحمل تلك المعاني، ثم أتى بما يجانسها في السياق فقال "لليتامى"ومن مهمّة الكفيل مساندة الضعيف الفقير.

- الصور البلاغية في القصيدة:

استعمل الشاعر عددا من الصور البلاغية في بعض أجزاء القصيدة ليعكس لنا مهاراته اللغوية حسب مقتضيات الأحوال، انظر كيف استفتح مرثيته بالأسلوب الإنشائي الطلبي فقال: "فيا طول البكاء على وقور" ليدل على ما آلت إليه حاله من الوله والانغماس في البكاء فأصبح ينادي القوم ويُلفت أنظارهم ليشهدوا ما حل

به من الفجيعة، وعند ما تصور التفات الناس إليه فزع إليهم يخبرهم ما أصيب به من سبق القدر في أسلوب إخباري فقال:

فقدنا صالـــــــــــحا رجـــــــــــلا أمينا ** فكـــــــــــل الناس في أسف ونار

ومما زاد الأسلوب رونقا استخدامه الصفة المشبهة باسم الفاعل (وقور) التي تنص بطبيعتها على الاستمرار، أي أن الوقار والطمأنينة والاتّزان صفات لازمة في المتوفي الراحل، فلا يبعد أن ينهمك فاقدي هذه الشخصية في البكاء الدائم تحسرا عليه.

ومن أمثلة التشبيهات الواردة في القصيدة قوله:

فخلصنا من (الفيـــــروس) جميعا ** كما خلصت مـــــوسى من دمار

شبه الشاعر نوع الإنجاء الذي يدعو الله سبحانه وتعالى أن يمنّ علينا به من هذا الْفَيْرُوس المهلك، وما قد سيخلّفه من سلبيات؛ بالإنجاء الّذي أنعم الله به على نبيه موسى – عليه السلام – حينما أراد عدوّه فرعون أن يفتّك به، فهو تشبيه تمثيلي، إذ وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد.

ومن أسلوب الشاعر الاستعاري قوله:

فقدنا صالـــــــــــحا رجـــــــــــلا أمينا ** فكـــــــــــل الناس في أسف ونار

استعار الشاعر كلمة "نار" وأراد بها شدة الحزن يحرق القلوب ويسخن الصدور ويزرف الدموع، فحذف المشبه به وأبقى من لوازمه وهو شدة الحرّ بين الصدور الذي يماثل النار على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن المجاز قوله:

فيا (جنرال) عليك الصبر طوعا ** علـــــى هذي المصيبة في الديار

استعمل الشاعر كلمة "الديار" وأراد بها أهلها على سبيل المجاز المرسل، والعلاقة محلية. كما استخدم كلمة "بيت" وأراد بها أهلها على سبيل المجاز المرسل، والعلاقة كذلك محلية.

وأنت ترى أيها القارئ الكريم أن الشاعر لم يسرف على نفسه في استخدام الكلمات الشعرية الخلابة التي يكثر فيها الإشعاع والإيحاء، وأنه لم يكثر استعمال المجازات والاستعارات التي تُحوّل الشعر إلى طلاسم مغلقة تخنق أفكاره خنقا، وهذا أحد ما يثنى عليه النقاد المعاصرون[19]

- الموسيقى الشعرية في القصيدة:

اختار الشاعر لقصيدته البحر الوافر، وقد أجاد في اختيار البحر ذي تفاعيل مطولة من أكثر البحور الشعرية حروفا متحركة[20] للقصيدة (مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُوْلُنْ ×2)، وهي تدل على تحسر الشاعر الدائم وبكائه الطويل على فقيده، أضف إلى ذلك ما للبحر من أثر عظيم في نغمته، ورنة قوية يصلح للأداء العاطفي، سواء أكان في الغضب الثائر والحماسة أو في الرقة والحنين[21].

استطاع الشاعر أن ينظم قصيدته في الوجه الوحيد الجائز في البحر إذا كان تاما[22]، وهو كون العروض فيه مقطوفة (فَعُوْلُنْ) والضرب مقطوف (فَعُوْلُنْ) مثلها. ولم يخرج عن هذه الحالة من أول القصيدة إلى آخرها.

ومن محاسن القصيدة من ناحية الموسيقى أن قافيتها مرتبطة بالمعنى يحاكيها الوزن والصوت في كل بيت[23] ووُفّق كذلك في اختيار حرفالراء الذي يحتل المرتبة الثانية في الجودة[24] ليكون روي القصيدة، وزد على ذلك أن الراء من الحروف المتوسطة بين الشد والرخاوة، ومن الحروف المجهورة، وهي طبعا تلائم حال الشاعر المؤسفة وما يقاسيه من الشدة نتيجة وفاة شخصية وقور في دولته، والأدهى أن ذلك الحزن لا يعرف الانقطاع بل يتكرر في كل عشية أو ضحاها الأمر الذي يحرك حزن الشاعر وألمه، فستوظف حرف الراء – التي من صفاتها التكرار – رويا لمرثيته إيحاءً منه إلى أن ألمه الممض وحزنه العميق متكرران.

ومن الممكن أن يدرك القارئ الموسيقى الداخلية أو الخفية في القصيدة من خلال الإيقاع والجرس الناشئ في تكرار بعض الحروف والكلمات في مثل قوله:

وباء (كـــــــــــرون) لا يأتـــــــي بشر ** على رجـل سليم القلب قاري

فالقارئ للبيت يدرك بكل سهولة أنه يحمل في طياته عددا من الحرف المتكررة، وهي الراء واللام، فورد الحرف الأول منهما أربع مرات في كلمات: "كرون""بشرّ""رجل""قاري"، والمعروف أن مخرج الراء هو طرف اللسان ومن صفاتها التكرار، فاستوظفه الشاعر في البيت إشارة إلى تجدد أحزانه، وبقراءة البيت يسمع القارئ تكرار الصوت في أذنه كجرس موسيقي ورنين عذبة لما فيه من التكرار، أما اللام فإنها تكررت في البيت خمس مرات في كلمات: "لا""على""رجل""سليم""الْقلب"، ومخرجها ما بين حافة اللسان الأمامية إلى منتهى طرفه مما يلي الحنك الأعلى، وهو حرف مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، وتكراره على هذا النمط يدل على أن حديث الشاعر ليلَ نهارَ هو تلك الفجيعة النازلة عليه.

وانظر أيضا كيف كرر الشاعر كلمة "كَارِي"ثلاث مرات في رثائه لأَبَــهْ كَارِي رئيس موظفي المكتب الرئاسي لنيجيريا، وهي كلمة مركبة من أربعة أحرف، الحرف الأول منها (الكاف) وهو صوت مهموس يخرج من اللهات، والحرف الثاني (الألف – حرف مدّ) يخرج من الجوف، والحرف الثالث (الراء) يخرج من طرف اللسان، والحرف الرابع (الياء) يخرج من وسط اللسان مع الحنك الأعلى، كل ذلك ليدل على أن نوال المتوفى شملت أجناسا مختلفة يجتنيها القاصي والداني، الحبيب والبغيض فرمز هذا بالكلمة التي شمل النطق بها نواحى عدة من الأعضاء الكلامية. ثم إن تكرار الكلمة يُحدث نغما موسيقيا مطربا كفاصلة بين الأجزاء ترتاح إليه الأسماع.

التقويم الفني للقصيدة:

يقال إن لكل جواد كبوة، والحسناء لا تعدم ذما، ولا كمال إلا لله وحده سبحانه وتعالى. ومع ما ذكره الباحث من محاسن الشاعر في قصيدته الرثائية التي تمّ تحليلها سابقا، وما ذكره من قدرته الشعرية في أماكن كثيرة من هذا البحث، فإن هذا لا ينافي وجود هفوات لغوية أو تركيبية. وعلى هذا يريد الباحث أن يشير إلى تلك الهفوات كي يقوم الشاعر (الذي لم يزل على قيد الحياة) بإصلاحها في إنتاجاته الجديدة تتميما للفائدة. وفي هذا الصدد من التعليق يقف الباحث على النقاط التالية:

أ- وجود تعقيد لفظي في البيت الأول، في قوله: "فيك كاري "والبيت الرابع عشر في قوله: "فيك النجيبِ" لسبق الضمير صاحبه، مع أن العبارة صحيحة من الناحية الأخرى، وهي جذب انتباه السامعين، ويكون من باب الإيضاح بعد الإبهام.

ب- ترك الأولى في تشكيل قوله: "فيا جنرال عليك الصبرُ طوعا" الأفصح أن ينصب الصبر مفعولا به لاسم الفعل المنقول (عليك)، مع أنه يجوز أن يرفع على أنه مبتدأ مؤخر، والجار والمجرور خبر مقدم.

الخاتمة:

لا شك أن القارئ لمس ما احتوت عليه القصيدة، من حيث توظيف العناصر الرثائية فيها توظيفا فنيّا، وبناء القصيدة حسب ما يحسنه النقاد، كما استطاع أن يختار من الألفاظ ما يلائم غرضه الرثائي، إضافة إلى ما وزّعه في القصيدة من الصور البلاغية لينقل إلينا تجربته الشعريةويعبر عن واقعه، كما وفقفي اختار البحر الوافر لمرثيته ليسب فيه ما يختلج في قلبه من شعور.

وبعد الدراسة حصل الباحث على النتائج التالية:

أ- أن أسلوب المعاني في القصيد يميل إلى الوضوح، ولم يظهر فيه الإشعاع والإيحاءات فيسدّ القارئ من فهم المعنى المراد.

ب- أن عاطفة الشاعر في القصيدة عاطفة إيمانية بحتة، ولم تسمح له أن ينغمس في الصراخ والنياحة وخدش الخدود وغير ذلك من العادات السيئة.

ت- أن عنصر التأبين أكثر وجودا في القصيدة يليه عنصر التعزية، وأن عنصر الندبة أقل شأنا في القصيدة.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الهوامش والمراجع:

1- حصل الباحث على السيرة الذاتية للشاعر من غلاف أحد مؤلَّفاته بعنوان "اتجاهات فن الرثاء في دويوان الأستاذ عبد الله بن فودي". راجع الكتاب الطبعة الثانية من: Millennium printing technology, Emir Yahaya Sokoto، نشر: قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية الجامعة الفدرالية غسو، 2018م. ومن الاتصال الهاتفي مع معالي السيد الشاعر يوم السبت 2020/5/30م في الساعة الثالثة والنصف نهارا.

2- (وكَاري) في اللغة البربرية/ الكانورية يعني الكبير، وأبه كاري: أي الأب الكبير، ولد قبل عام 1960م وحصل على شهادة الليسانس في المحاماة في جامعة كمبريج (Cambridge) عام1980م كما حصل على الماجستير في التربية في نفس الجامعة عام 1984، وحاز عددا من الشهادات العلمية في الجامعات الدولية المختلفة، عمل محاميا في شركة خاصة لغيره، ومحررا لجريدةٍ في كدونا عام: 1988 – 1990م، وعيّن وزيرا في ولاية برنو عام 1990م وغير ذلك إلى أن قلّده رئيس الدولة منصب رئيس موظفي المكتب الرئاسي عام 2015م. لقي كَاري حتفه يوم الجمعة 17/أبريل/2020م بعد أن عاني من مرض الفيروس كرونا. رحمة عليه. راجع الإنترنت بالعنوان التالي: https://ha.m.wikipedia.org/wiki/Abba_kyari، تاريخ زيارة الموقع: 18/ أبريل/ 2020م، في الخامسة مساء.

3- وجنرال: (General)، كلمة إنجليزية تعني القائد الأكبر في كتائب الجيش، ويعني بها الشاعر رئيس دولة نيجيريا حاليا.

4 - ومَسَارِي، اسم بلد ينتمي إليه حاكم ولاية (كتشنا) الحاج أمين بلّو مساري. ويعني الشاعر أن حاكم الولاية أظهر تحيره ودهشته على وفاة الحاج (أبه كاري) لما يشعر به من الخسارة واندراس القيم الاجتماعية التي يتصف بها الفقيد.

5- الفيروس كرونا أو كوفيد – 19، مرض معْدٍ يسببه آخِر فيروس تمّ اكتشافه من سلالة فيروسات كرونا في مدينة وُوهانْ الصينية في ديسمبر 2019م، وقد تحول كوفيد- 19 إلى جائحة عالمية، وهو مرض يسبب الحمّى والسعال الجاف والتعب، ويعاني المصابون بالمرض الآلام والأوجاع واحتقان الأنف وألم الحلق والإسهال والحالة التنفسية، ويصاب بعض الناس بالعدوى ولكن لا تظهر عليهم سوى أعراض خفية، ويتعافى معظم الناس دون الحاجة إلى علاج في المستشفى. وقد مات من أجل كوفيد- 19 عددٌ كبير في المستوى العالمي، إلا أن أمريكا وفرنسا وإيطاليا والبرطانية والصين أكثر الدول عدد المصابين والموتى من أجل الفيروس. راجع: موقع منظمة الصحية العالمية الإلوكتروني على العنوان التالي: www.who.int/ar/emergencis/ disease/novel-coronavirus-2019/advice-forpublic/q-a-coronaviruses، تاريخ زيارة الموقع: 18/ أبريل/ 2020م، في الخامسة مساء.

6 - الجواري جمع جارية وهي الفتية من النساء. الزَّبيدي، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: **"تاج العروس من جواهر القاموس"**، دار الهداية، (بدون بلد الطباعة والتاريخ)، ج/37، ص345

7 - كلمة إنجليزية معربة (COVID-19)، وتعني ذلك المرض الذي تحدثه فيروس كرونا.

8 - الذراري: جمع ذرارة، وهي الذرية وما تناثر وتناسل من الشيء. الزَّبيدي، **"تاج العروس**.....، المرجع السابق، ج/10، ص 369.

9 - كلمة إنجليزية معربة (virus)، ويراد بها: كائنات دقيقة لا ترى بالمجهر العادي تنفذ من الراشحات البكتيرية وتحدث بعض الأمراض. مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (بدون التاريخ)، ج/2، ص 708

10- بدوي، أحمد أحمد، (الدكتور)، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1996م، ص297

11- البخاري، محمد بن إسماعيل، (الإمام)، **الجامع الصحيح**، الطبعة الأولى، دار الشعب، 1307هـ/ 1986م. ج/4، ص29، (رقم الحديث: 2829، و 5733)

12- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (الإمام)، **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، دار الجيل، بيروت (بدون التاريخ والسنة)، ج/6، ص 52، (رقم الحديث 5050).

13- ضيف، شوقي، (الدكتور)، **الرثاء**، ط/4، دار المعارف، القاهرة، (بدون التاريخ)، ص 12، وراجع أيضا: **www.uokufa.edu.iq/journals/index.../969** بعنوان: مجلة اللغة العربية وآدابها، بتاريخ: 2017/7/28م، في الساعة الحادية عشر صباحا.

14- **www.alukah.net/...38202** تاريخ الزيارة: 2017/7/28م، في الساعة العاشرة صباحا، والموقع: **https//ar.m.wikipedia.org**، بتاريخ:2017/7/27م، في الساعة العاشرة والنصف صباحا.

15 - قدامة بن جعفر، **نقد الشعر**، المكتبة الشاملة، الإصدر الثالث، على الرابط التالي: http://www.shamela.ws ج/1، ص17.

16- الموقع الإلكتروني السابق، ونفس التاريخ.

17 - الزَّبيدي، **"تاج العروس**.....، المرجع السابق، ج/23، ص 14.

18- المرجع نفسه، ج/30، ص 335.

19- ضيف، شوقي، (الدكتور): **"في النقد الأدبي"**، ط:9، دار المعارف، القاهرة، 1962م، ص 112

20- إبراهيم، سركي (أ.د) :**"أثمار يانعة في العروض والقافية"**، ط:1، المنديي للطباعات العربية، كنو، 2005م، ص 58

21- المجذوب، عبد الله الطيب، (الدكتور): **"المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"**، الطبعة الثالثة، دار الآثار الإسلامية، الكويت، 1989م / 1409، ج/1، ص 406.

22- إبراهيم، سركي (أ.د) :**"أثمار يانعة**، المرجع السابق، ج/2، ص 52 – 53.

23- عصفور، جابر، **مفهوم الشعر**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م، ص 262

24- المجذوب، عبد الله الطيب، (الدكتور)، **المرشد إلى فهم أشعار العرب**..، المرجع السابق، ج/1، ص60